وقائع ندوة خاصة بالتعاون بين المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية- مدار ومركز خليل السكاكيني

عناصر الرواية الإسرائيلية للنكبة

عقد المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية- مدار بالتعاون مع مركز خليل السكاكيني ندوة خاصة تحت عنوان «النكبة في الرواية الإسرائيلية». وقد قدمت للندوة د. هنيدة غانم، المدير العام لمركز مدار، وشارك فيها كل من إيمان نحاس، التي تعد أطروحة لشهادة الدكتوراه في جامعة تل أبيب عن الذاكرة الجماعية للنكبة لدى المهجرين الداخليين وغير المهجرين، ود. عادل مناع، الباحث والمؤرخ الفلسطيني، ود. صالح عبد الجواد، المؤرخ الفلسطيني والأستاذ المشارك في قسم العلوم السياسية في جامعة بير زيت. وفيما يلي وقائع الندوة، وقد أعدها للنشر سعيد عياش ومحمود صعيدة:

د. هنيدة غانم– تقديم

ستتناول هذه الندوة النكبة من زاوية مختلفة بعض الشيء بعيدا عن معانيها الفلسطينية والعربية، على رغم أهميتها، وستذهب إلى تأمل وكشف معانيها كما تشكلت وصيغت في السياق الإسرائيلي. وأشدد على معان وليس على معنى على خلفية وجود تباينات، حتى لو اختلفت درجتها ومستواها في صيرورة إنتاج ومن ثم توظيف معنى النكبة منذ وقوعها حتى اليوم، في صياغة الهوية الذاتية الإسرائيلية الجمعية، وكذلك في صياغة العلاقة مع الآخر العربي والآخر الفلسطيني. وسألخص هنا باختصار شديد جداً تيارات أو مناحي أو رؤى النكبة في السياق الإسرائيلي، وسأترك للمتحدثين توسيع وتطوير النقاش في هذا الموضوع.

هناك عدة رؤى إسرائيلية للنكبة، إحداها تقول إن النكبة هي

عبارة عن «رواية فلسطينية مفبركة» أو حدثت بعد أن رفض العرب قرار التقسيم، وإن اليهود اضطروا بموجبها إلى «القتال المستميت من أجل الحفاظ على حياتهم» والدفاع عن مستعمراتهم في وجه الرفض العربي، وإنه نتيجة للصراع وقعت مجازر وسقط ضحايا في الطرفين. ويذهب أصحاب هذا الرأي إلى التشديد على أنه لو تمكن العرب من الانتصار في هذه الحرب، لواجه اليهود «الويلات والكوارث» وباختصار وباللغة الشعبية «كان رموهم في البحر».

هناك تيار ثان يقول إن النكبة هي «كارثة إنسانية حقيقية» لكن العرب «هم من يتحمل مسؤوليتها» لأنهم دعوا السكان الفلسطينيين عبر الإذاعات ومكبرات الصوت إلى مغادرة أماكن سكنهم من أجل إفساح المجال لحسم الحرب والانتصار عسكريا. ويؤكد أصحاب هذه الرؤية أن إسرائيل فوجئت عمليا من «هرب العرب» ولكنها سرعان ما تمكنت من استيعاب ما حصل ورأت في ذلك «هبة ربانية» تتيح لها تحقيق حلم دولة مستقلة. إن الجزء الثاني من هذه المقولة يتبناها العديد من المؤرخين الذي يعتبرون جددًا وأحد هؤلاء هو باروخ كيمرلينغ في كتابه «الفلسطينيون صيرورة شعب» (صدر بترجمة عربية عن مركز مدار). ويعتبر هؤلاء أن الإسرائيليين فوجئوا بما حصل وبالنسبة لهم كانت هذه المفاجأة بعد الصدمة الأولى مفاجأة سعيدة.

هناك تيار ثالث يقول إن النكبة هي عبارة عن «نتاج مأساوي» ولكنه مخطط ومدروس، والأهم «نتاج طبيعي» للصراع العسكري، لأن «أي حالات صراع بغض النظر عن زمانها ومكانها تخلق كوارث إنسانية»، بمعنى، وقعت حرب نتج عنها مليون لاجئ لم يكن مخططا بالضرورة لطردهم ولكن الصراع يخلق هذه الكوارث و«للحروب مآسيها ومصائبها وكوارثها المؤلمة»! أضف إلى ذلك ما قاله بيني موريس «اللي بدو يعمل عجة بدو يكسر بيض» (وطبعا كل ما كبرت العجة بتكسر بيض أكثر). المهم هنا أن هذه الرؤية، التي قد لا تروق للكثيرين، هي في النهاية رؤية أداتية عقلانية ومن هنا تأتي خطورتها في عقلنة كل ما يترافق مع الصراع والحرب، لأنها تقول: نحن لا ننكر دور إسرائيل في إنتاج النكبة، لكن ننكر أن عليها أن تتحمل تبعاتها وبدلا من ذلك تقترح معالجة الوضع الكارثي المأساوي من خلال مؤسسات دولية تهيئ الظروف الحياتية الجديدة للاجئين وتصلح أو تعالج كل ما أصيب نتيجة النكبة.

ثمة تيار آخر، وهو تيار اليسار اليهودي، ويقول إن النكبة أنتجت عمليا حالات وكوارث إنسانية ولكنها «غير مخططة». ويعترف هؤلاء بالألم الفلسطيني وشرعيته، أي شرعية «الحزن الفلسطيني» مثل مبادرة إدخال شعر محمود درويش عن النكبة إلى مناهج التعليم الإسرائيلية بدعوى «أن من حقهم الحزن»؟!

وهناك كما هو معروف موقف يقول إن النكبة: هي «كارثة إنسانية» ولكن «سياسية»، يعني كارثة إنسانية وسياسية مخطط لها بالكامل وليس كنتاج عفوي أو تحصيل حاصل ولا يمكن المرور عليها أخلاقيا، بل يجب أن تتحمل إسرائيل مسؤوليتها وتتيح إمكانية العودة للاجئين، باعتبار ذلك جزءا من «حقوق الإنسان الأساسية». هذا الموقف عبر عنه إيلان بابه، الذي يمثل قلة موجودة على أطراف اليسار غير الصهيوني أو المعارض للصهيونية في المجتمع الإسرائيلي. الدكتور عادل مناع سيسعى خلال هذه الندوة إلى استكشاف هذا الخطاب ويحاول قراءته بشكل نقدي.

إن كل موقف من هذه المواقف، أو كل توجه من هذه التوجهات، ينتج رواياته وأساطيره وقيمه إلخ. . وهي عبر روايتها لما حصل في العام ٤٨ تقوم بصياغة رؤيتها لذاتها ولعلاقتها مع الآخر وبالتالي رؤيتها لكيفية حل الصراع. ملاحظتي المهمة هنا هي ضرورة أن نفهم العقلية الإسرائيلية بكل تياراتها واتجاهاتها، كيف تفهم وكيف تصوغ النكبة وخطابها حول النكبة، ولكن هذا أيضا يتطلب منا نحن وقفة نقدية فلسطينية ذاتية لطريقة صياغتنا للنكبة ولرواية النكبة وما معنى النكبة، بداية من تبني أو تسمية «النكبة» وما يترتب على ذلك من معان وإسقاطات نفسية وسياسية وانعكاسات ذلك على إمكانية حلها.

يسعدنا أن نستضيف في ندوة اليوم ثلاثة من الأصوات المهمة في الكتابة والبحث عن موضوع النكبة: السيدة إيمان نحاس سوف تتحدث عن «النكبة وبناء الهوية الجماعية في العام ١٩٤٨». وإيمان طالبة دكتوراه في جامعة تل أبيب تكتب أطروحة عن نقل الذاكرة الجمعية للنكبة عند المهجرين الداخليين وغير المهجرين؛ د. عادل مناع، مؤرخ فلسطيني كتب، من جملة أشياء أخرى، عن تاريخ فلسطين في العهد العثماني (وهو أيضاً مدير مركز دراسات المجتمع العربي في معهد فان لير في القدس، ويعكف في هذه الأيام على وضع كتاب حول النكبة وأثرها على الفلسطينيين في إسرائيل؛ د. صالح عبد الجواد، المؤرخ والأستاذ المشارك في قسم العلوم السياسية في جامعة بير زيت وله الكثير من الأبحاث والدراسات حول النكبة.

إن ما يسمى في الخطاب الإسرائيلي بـ «صراع إسرائيلي- فلسطيني» و«إسرائيلي- عربي»، هو شكل من أشكال «الصراع العنيد»، حيث يتميز هذا الصراع بمركزيته، شموليته وهيمنته على جميع أجهزة الدولة والمؤسسات والأفراد، كما يتميز بأحداث عنيفة، وتناقض شديد بين الخصمين. في هذا الصراع هناك شعور قوي لدى الأطراف بأن كلا منهم هو الضحية الانفرادية ويغلب عليه الهاجس بالتهديد المستمر.

إيمان نحاس: السرد الإسرائيلي للنكبة وبناء الهوية الجماعية بعد ١٩٤٨

إن المقولة الأساسية التي سأحاول أن أطرحها هي أن الدولة اليهودية ونتيجة لوجودها في صراع دائم مستمر على مدار السنين ونتيجة وجود الدولة والمجتمع والأفراد في حالة «استنفار دائم»، قد طورت ميكانيزمات نفسية- اجتماعية من أجل التكيف مع الصراع بل واستمرار العيش فيه. تتكون هذه الميكانيزمات من: «ذاكرة جماعية»، تتعلق بالماضي وترتكز إلى حيثيات الحاضر و«أخلاقيات نزاعية»، أو ما يطلق عليه «روح الشعب»، وهي مميزات ذهنية نفسية سلوكية متعلقة بجميع النواحي الدينية والثقافية والتربوية. وإن أخلاقيات النزاع- أي أخلاقيات الدولة اليهودية- متأصلة في صياغة وبلورة خطاب الصراع. لقد طورت هذه الميكانيزمات لدى الأفراد والمجتمع في «الدولة اليهودية» مشاعر قوية مؤداها أنهم «ضحايا لأعمال عنف مستمرة»، كما ساهمت في تطوير الكراهية والخوف والغضب تجاه العرب، حيث تساهم هذه المشاعر في تبرير الأعمال التي يقومون بها أو الخطوات التي يتخذونها تجاه الآخر بما في ذلك مواصلة الصراع.

إن ما يسمى في الخطاب الإسرائيلي بـ«صراع إسرائيلي- فلسطيني» و«إسرائيلي- عربي»، هو شكل من أشكال «الصراع العنيد»، حيث يتميز هذا الصراع بمركزيته، شموليته وهيمنته على جميع أجهزة الدولة والمؤسسات والأفراد، كما يتميز بأحداث عنيفة، وتناقض شديد بين الخصمين. في هذا الصراع هناك شعور قوي لدى الأطراف بأن كلا منهم هو الضحية الانفرادية ويغلب عليه الهاجس بالتهديد المستمر. إن حقيقة استمرارية هذا الصراع «حيث عايشته» جميع الأجيال جعلتهم يطورون أدوات للتعامل معه، فأصبح حدثا مركزيا في الأجندة الإسرائيلية وفي جدول الأعمال اليومي الإسرائيلي.

لقد طور المجتمع الإسرائيلي ثماني عقائد أساسية حول صراعه مع الفلسطينيين، أدّت دورا أساسيا في بناء الذاكرة الجماعية (الماضي) وبناء أخلاقيات المجتمع (الحاضر) وترتكز على المركبات التالية:

- <u>الإيمان بصدقية وشرعية أهدافهم</u> والإيمان والاعتقاد بالأيديولوجيا الصهيونية بأنهم «يرجعون إلى بلادهم الأصلية» بعد ٢٠٠٠ عام من الشتات من اجل إعادة إقامة دولتهم، حيث زودت هذه الأيديولوجيا اليهود ليس فقط بالهدف بل بأساطيره وبمبرراته وصياغاته الرمزية والروحانية. فيعرضون خطاباً تاريخيا، دينيا، وطنيا، وجوديا، سياسيا، اجتماعيا وثقافيا لتبرير وجودهم في فلسطين «أرض إسرائيل». يتحدثون مثلاً عن «الرابط الروحي»، القوي الذي ربط اليهود «بأرض إسرائيل» حتى في أثناء «وجودهم في المنفى» وان الملاحقة التي تعرضوا لها في «المهجر» سلطت الضوء على حاجتهم لمكان آمن يعيشون فيه.
- <u>إهانة الخصم وإنكار هويته:</u> ولتبرير أهدافهم قام اليهود بدحض «الإدعاءات» الفلسطينية وزعموا «لم يكن هناك الكثير من السكان في ارض إسرائيل»، وأنكروا الهوية الوطنية الفلسطينية وقالوا بأن «السكان كانوا عرباً وليسوا فلسطينيين». كذلك قالوا بأن الأرض كانت في معظمها «مهملة» غير مزروعة، بدائية ونائية، إلى أن أتى اليهود و«استصلحوها» فقاموا بـ «تجفيف المستنقعات وتحويل

النكبة الفلسطينية: الاقتلاع

الأراضي الصحراوية إلى أراض زراعية»؟! وقد صوروا في البداية الفلسطيني بوصفه كائنا «بدائيا»، غير متطور، «همجيا»، «جبانا». بعد ذلك أصبح الحديث عنه بأنه «قاتل»، «متعطش للدم»، «خائن»، قاسٍ وشرير. ويدعي اليهود بأن العرب لا يبحثون عن السلام إنما «يريدون رميهم في البحر». ويشار إلى الفلسطيني كعربي للتأكيد على عدم وجود شعب فلسطيني في فلسطين وللإشارة بأن للفلسطينيين الكثير من الدول العربية التي باستطاعتهم اللجوء إليها، وبذلك يمكن للكثير من اليهود القدوم إلى «أرض إسرائيل»!

- نظرة جماعية إيجابية: نعت الشعب اليهودي بالصفات الإيجابية والقيم الحسنة، وبـ «الشعب المختار»، الشجاع، العصري، المثقف وصاحب القيم الإنسانية.
- الضحية: يرون أنفسهم كضحية للعرب ولعنف العرب. فهم ينظرون للعرب كمن يريدون إيذاءهم فعليا (إبادتهم)، والحد من هجرتهم ومنعهم من الاستيطان في أرضهم!. هذا القناعة تعززت لديهم مع كل عمل يقوم به الفلسطينيون ضدهم. إن هذا الشعور يغذي لديهم الرغبة في محاربة الفلسطينيين بحثاً عن «العدل والحق»!
- الأمن: يؤمن اليهود الإسرائيليون بأن أمن دولتهم مهدد وبأن الشعب اليهودي في خطر. ولذلك فإن البحث عن الأمان، هو أحد أهم المبررات الصهيونية لإقامة الدولة اليهودية. ولذلك أصبح المجتمع الإسرائيلي معبئا بروح الجندية والخدمة العسكرية. ويلعب الأمن دوراً مهما في معظم قرارات الحكومة ويؤثر على سن القوانين، وتبرير ممارسات الدولة وسياساتها وصولاً إلى تأثيره على المجالات الاقتصادية، الاجتماعية، التربوية والثقافية. وشروط المحافظة على الأمن هي: ١- تفوق عسكري، ٢- حرب استباقية، ٣- الاعتماد على الذات، ٤- الأرض، وهي أهم إستراتيجيا قومية للحفاظ على الأمن.
- «حب الوطن»: يقوم اليهود الإسرائيليون بجهود جمة لتقوية «حب الوطن» لدى أفراد المجتمع الإسرائيلي، فيطلب منهم «التضحية في سبيل الوطن»، تحمل الصعاب الاقتصادية والخدمة العسكرية المستمرة أو الخدمة الاحتياطية. ويتم تبجيل الأشخاص الذين «يضحون في سبيل الوطن» ويوصم

بالعار كل من لا يخدم وطنه.

- الوحدة: الإيمان بضرورة الوحدة التي تساعد الإسرائيليين في تجاهل الخلافات والصراعات الداخلية والتوحد في وجه التهديدات الخارجية ولذلك يقوم المجتمع اليهودي الإسرائيلي ببذل أقصى الجهود لبناء وتقوية «الانتماء» عند الشعب، فيتم التشديد على التقاليد والعادات الدينية التي تخفف بدورها من الفجوات والخلافات العرقية داخل المجتمع اليهودي.
- السلام: أثناء الصراع، يعطي اليهود الإسرائيليون أهمية كبيرة للسلام كقيمة. فهم يدّعون بأنهم «شعب يحب السلام» ولكنهم «مجبرون على خوض صراعات عنيفة». يصورون أنفسهم كجاهزين للتفاوض وللوصول إلى حل سلمي بينما العرب هم الذين يرفضون كل الحلول السلمية ويمتنعون من إقامة علاقات مباشرة معهم وهذا بالنسبة لهم هو «العائق الأساسي» للتوصل إلى حل سلمي. هذا التصور يزرع لديهم الأمل ويعزز نظرتهم الإيجابية إلى أنفسهم كما يمنحهم صورة إيجابية أمام العالم الخارجي.

تساهم العقائد الأربع الأولى في بناء وتحصين ذاكرتهم الجماعية وأما البقية فتعزز لديهم «روح الشعب» وتقوي وحدتهم. يتم التركيز على هذه العقائد في الأجندة العامة، ويتم نشرها عن طريق مؤسسات المجتمع المختلفة ونقلها من جيل إلى جيل. تنشر الدولة اليهودية بواسطة مؤسساتها المختلفة «ذاكرة جماعية»، «أخلاقيات»، و«توجها عاطفيا جماعيا» داعمة استمرارية الصراع، كما تزود أفراد المجتمع بمهارات حياتية/ نفسية تساعدهم على مواجهة الصراع. لذلك في الدولة اليهودية لا يسمح بوجود سرد آخر في المناهج الإسرائيلية عدا السرد الصهيوني – اليهودي، وهم يحاولون طوال الوقت ممارسة عملية مراقبة للسرد الآخر الموجود، وليس أدل على ذلك من «قانون منع إحياء ذكرى النكبة» داخل الخط الأخضر. المراسيم المختلفة التي تقوم بها الدولة، وبالأساس الاحتفال بـ«يوم الاستقلال» وإحياء ذكرى جنود الجيش الإسرائيلي القتلى، تقوي الهوية الجماعية وتمنح الشعور بالانتماء والوحدة. في إسرائيل خاصة، تحاول هذه المراسيم تبرير أهداف المجتمع ونتائج الصراع، وتقوي الرؤية الذاتية وإلقاء مسؤولية بدء النزاع واستمراره على الطرف الآخر. كما أن الخطب التي يتم إلقاؤها في هذه المراسيم تسعى إلى غرس عقائد، وقيم ورموز مرتبطة بالتعامل مع الصراع.

وفي دراسة للخطب الملقاة في هذه المراسيم بين الأعوام ١٩٤٨– ١٩٧٣ وجد تأكيد على أهمية الأمن داخل الكيان الإسرائيلي ودور «جيش الدفاع الإسرائيلي» في الحفاظ عليه. كما أن هنالك إشارات كثيرة ومباشرة تشدد على شرعية وصدق الأهداف، رؤية إيجابية للذات، وحب الوطن، ولكن لا توجد إشارة لأهمية الوحدة أو للتطلع إلى «السلام». أي أن جميع هذه الخطب (من العام ١٩٤٨ وحتى العام ١٩٧٣) عكست جميع العقائد ما عدا «السلام والوحدة». لقد طغت عليهم الحاجة لتبرير مواقفهم ولتبرير سياستهم فكانوا طوال الوقت يحاولون رسم التصور الإيجابي لذاتهم وتبرير

يافا قبل النكبة بقليل

يؤكد نافيه بأن هناك من العرب من تركوا بيوتهم قبل وصول اليهود إلى قراهم، ولكن هناك في الوقت ذاته من تم طردهم من بلادهم على يد القوات المحتلة. لكن هذه الصورة هي أيضاً بعيدة جداً عن الصورة التي يطرحها السرد الفلسطيني، وتتجاهل كليا مذبحة دير ياسين، أو بعض ما كتبه المؤرخون اليهود الجدد بأن الحركة الصهيونية خططت وقامت بشكل مقصود بسياسة التطهير العرقي خلال حرب الـ ٤٨.

مواقفهم وأهدافهم الحسنة.

وأما في العام ١٩٨٣ فقد ركزت الخطب على الرؤية الإيجابية للذات وضرورة وحدة الشعب الإسرائيلي من أجل استمرارية وجوده في «أرض إسرائيل». لقد تطرقت هذه الخطب إلى أهمية حب الوطن، الاستعداد للتضحية في سبيله، والحفاظ على الأمن ولكن لا يوجد ذكر للتطلع إلى السلام. وأما بعد أوسلو فكان هناك تغيير ملحوظ في وضع (الخطاب). فمثلاً في العام ٢٠٠٠ تم التطرق إلى شؤون داخلية كتفكك وتشرذم المجتمع اليهودي الإسرائيلي وأهمية «الوحدة والسلام» في الأجندة الإسرائيلية.

دور المنهاج التعليمي

تحاول المؤسسة الإسرائيلية زرع السرد اليهودي في كل الكتب وبالأساس كتب التاريخ والجغرافيا، والتي تحافظ على القيم الصهيونية القومية.

هناك كتابان يمكن الإشارة لهما كمثل. وأود أن أشير هنا إلى أن الكتب قبل أوسلو كانت طوال الوقت تركز على السرد اليهودي ولا تسمح بوجود سرد الآخر. وأما فيما بعد أوسلو، وتحديدًا في العام ١٩٩٩، فقد طلب في وزارة التربية والتعليم بتغيير المناهج بحيث تشمل كتبا أخرى. من الكتب التي أدخلت للمناهج واحد للصفوف الإعدادية وآخر للصفوف الثانوية. وهنا سأشير إلى التغيير الذي حصل. طبعا هذا بحث قام به كثير من الأشخاص، أحدهم البروفسور ماجد الحاج.

كتاب إيال نافيه «القرن العشرون» ويتحدث عن الفلسطينيين كعرب في «أرض إسرائيل»، وصفوا بـ «عصابات عربية» هاجمت المستوطنات اليهودية والوحدات العسكرية البريطانية وقتلت وخربت!

واليهود كشعب منهمك في الاستيطان و«تطوير البلاد»، بينما يقوم العرب بأعمال عدائية عنيفة وبناء منظمات معادية لليهود. بحسب هذا الكتاب فإن الحركة الوطنية الفلسطينية ظهرت بشكل تلقائي كردة فعل لوجود الحركة الصهيونية وليس نتيجة للتطور الاقتصادي - الاجتماعي لسكان أصليين موجودين في وطنهم متجذرين في الأرض والوطن، وهو يذكر دائما قضية الأقلية التي تحارب الأكثرية، ويصف الجيوش العربية بأنها كبيرة العدد ولكن قيادتها غير متحدة وغير منظمة والمقاتلون يفتقدون الخبرة والتدريب، بينما يقوم «الجيش اليهودي» كجيش قليل العدد ولكنه منظم يسير بحسب الخطط المرسومة وجنوده مدربون تدريباً جيداً.

يؤكد نافيه بأن هناك من العرب من تركوا بيوتهم قبل وصول اليهود إلى قراهم، ولكن هناك في الوقت ذاته من تم طردهم من بلادهم على يد القوات المحتلة. لكن هذه الصورة هي أيضاً بعيدة جداً عن الصورة التي يطرحها السرد الفلسطيني، وتتجاهل كليا مذبحة دير ياسين، أو بعض ما كتبه المؤرخون اليهود الجدد بأن الحركة الصهيونية خططت وقامت بشكل مقصود بسياسة التطهير العرقي خلال حرب الـ ٤٨.

يافا . . . خضراء خضراء

الكتاب الثاني «أزمنة حديثة» معد للصفوف الثانوية وهو يعرض السرد اليهودي الصهيوني ولكنه يختلف عن الأول في نقطتين يجب الإشارة إليهما:

يتضمن ذكراً لمجزرة دير ياسين: (المجزرة التي حصلت في دير ياسين في ٩ نيسان ١٩٤٨) ويتطرق لتأثيرها على تصعيد نسبة المهجرين الفلسطينيين من بلداتهم. لكن الطريقة التي تم بها عرض المجزرة تموه حدة العنف والقتل الذي حصل، إذ يتم التطرق إلى ذلك وكأنه حالة فردية «استثنائية» تصرف خلالها «المقاتلون» تلقائيا ومن دون تنسيق مع القيادة التي «أدانت» هذه المجزرة. ويحاول هذا الكتاب إبراز المشاعر الإنسانية لدى قائد منظمة «ليحي» الذي يقتبس عنه قوله بأنه لا «يمكن أن يرتاح عندما يتخيل ما حدث»، ولكنه قال أيضا بأنه «يعرف أن أموراً كهذه يمكن أن تحصل في الحرب» وبأن من «يرتكب مثل هذه الجرائم لا يخطط لها وأنها تكون عادة بمثابة انتقام، وفي لحظة غضب الإنسان يمكن أن يقوم بمثل هذه الأعمال» أثناء الحرب.

أما النقطة الثانية فتتعلق بقضية اللاجئين الفلسطينيين ويذكر الكتاب بشكل واضح أن «السبب الرئيسي» كان «هروب وانهزام العرب». وأن الطرد اقتصر على ١٠٠٠٠ فلسطيني طردوا من قراهم بعد الحرب بهدف «تنظيف» المناطق الأمامية من «العناصر المعادية».

وفي النهاية أود الإشارة إلى أن التوجه العاطفي الجماعي الإسرائيلي تسيطر عليه المشاعر السلبية الآتية: الخوف، الغضب والكراهية، وتحويل الخوف إلى هاجس في كل ما يتعلق بالصراع الفلسطيني –الإسرائيلي.

يعتبر الخوف أداة ناجعة لتغيير التوجه والتصرفات بشكل عام وللإقناع بشكل خاص، إذ تشير الأبحاث إلى أن الرسائل التي تحمل في طياتها درجة متزنة من التخويف هي الأفضل للإقناع. ويستعمل الخوف لتحريك أفراد المجتمع للعمل ضد العدو، الخوف على مكانة إسرائيل الدولية، الخوف من خسارة المناطق المحتلة، تهديد أمني، تهديد للكيان اليهودي في إسرائيل، تهديد لديمقراطية الدولة، الخوف من نتائج غير مرغوبة للمفاوضات، خسارة ممتلكات غير منقولة إلخ. . . وأما الشعور بالكراهية فيتغذى من الإدراك بأن الآخر يقصد «الإيذاء» وبأن قصده هذا يعود «لطبعه العنيف والشرير». إن

التوجه العاطفي الجماعي أيضاً يلعب دوراً في تخليد الصراع العرقي لأنه يؤدي إلى اعتبارات منحازة، وجمود ذهني، ولا يتقبل سرد الآخر ويتمترس خلف الماضي من أجل تبرير الحاضر.

د. عادل مناع: قراءة نقدية لكتابات المؤرخين الجدد في إسرائيل حول النكبة

أولا من هم «المؤرخون الجدد»؟ عادة نحن نعتقد أننا نعرف المؤرخين الجدد، وعندما تسأل أحدهم يقول لك: إيلان بابه وبيني موريس، ولكن هذه إجابة تبسيطية ففي سؤالي: من هم «المؤرخون الجدد» أحاول أن أعرفهم، من هم، ماذا يعني أن تكون مؤرخا جديدا؟ هل هم مدرسة تاريخية مثلا حتى نصنفهم كمجموعة لها وزنها المنهجي في كتابة التاريخ؟ وما هو المشترك بين كتابتهم إذا كانوا فعلا يمثلون مدرسة تاريخية؟ هل المؤرخون الجدد في إسرائيل هم مدرسة منهجية لها أشياء مشتركة أم أنهم مجموعة باحثين ظهروا وكتبوا ونشروا في مرحلة معينة، وأن هناك أشياء مشتركة تجمعهم وأخرى تفرقهم؟ إذ يختلف الوضع في حال كون هؤلاء مدرسة معينة أم إنهم ظهروا بالصدفة في نفس المرحلة وكتبوا عن موضوع ١٩٤٨ وحول النكبة الخ. . . حيث تم جمعهم في الكتابات بوصفهم شبه مدرسة أو مجموعة. لا أريد الإسهاب في الحديث عن هذا الموضوع فما يهمني هنا هو قراءة فحوى ومضمون كتابتهم قراءة نقدية. .

إن المؤرخين الرئيسيين الثلاثة هم بيني موريس إيلان بابه وآفي شلايم، ويمكن أن نضيف توم سيغف وآخرين. ولكن عادة عند الحديث عن المؤرخين الجدد تذكر هذه الأسماء الثلاثة، بني موريس وهو مؤرخ، وإيلان بابه وهو أصلا مختص في العلوم السياسية ولكنه كتب في التاريخ، وآفي شلايم وهو مختص في العلاقات الدولية ولكنه كتب في التاريخ. إن ما يجمع بينهم بدون شك هو الاهتمام بحرب العام ١٩٤٨ ونتائجها وعلاقات إسرائيل مع جيرانها. الشيء المشترك الآخر والذي جعل لهم أهمية خاصة أنهم كتبوا عن العام ١٩٤٨ وأنهم ظهروا في نفس الفترة، فترة الانتفاضة الأولى تقريبا وليس صدفة أن هذا العامل الأساسي الذي جاء في أواخر الثمانينيات، ومع مرور ٤٠ سنة على قيام دولة إسرائيل واندلاع الانتفاضة الأولى ثم بعد الانتفاضة الأولى وما حدث من تحولات سياسية في العلاقة بين الإسرائيليين- والفلسطينيين، ساهمت في إبراز هذه المجموعة والحديث عنها كمبشر للمرحلة الجديدة والتي فيها جسر للمواقف الإسرائيلية - الفلسطينية التي كانت حتى ذلك

فلسطينيون بلا بيت

الوقت مواقف على طرفي نقيض، بالنسبة للنكبة وأشياء أخرى. وبما أن موضوعنا هو النكبة هناك رواية إسرائيلية وقد استمعنا في المقدمة كيف يتحدثون عن النكبة والفلسطينيين، هناك الرواية الفلسطينية وبالطبع ثمة فجوة كبيرة جداً وهذه الفجوة بين المؤرخين الجدد ومن سبقهم، وقد حاول «المؤرخون الجدد» دحض وتقويض بعض الأساطير الإسرائيلية لما حدث عام ٤٨ وبعد ٤٨. وفي الحقيقة فان أول من كتب عن ١٩٤٨ شخص تم اغفاله، وهو سمحا فلابن الذي وضع كتابه المشهور (The Birth of Israel : myths and realities) وصدر في نيويورك في العام ١٩٨٧ ، ما فعله سمحا فلابن أنه أتى بالأساطير الإسرائيلية التي تشكل الرواية الإسرائيلية للنكبة وحرب ٤٨ وما بعدها وحاول أن يحطمها واحدة تلو الأخرى، ثم ظهر «المؤرخون الجدد» بعده ومنهم موريس وبابه وشلايم وكتبوا كتابات عينية مهنية لمواضيع عن اللاجئين وقضايا أخرى، وعززوا ما تحدث عنه سمحا فلابن في قضايا معينة، وبعدها صار من الصعب على المجتمع الإسرائيلي أن يستمر في الرواية التقليدية القديمة، وقالوا إن هذه الكتابات تزيل أو تضيق الفجوة ما بين الرواية الإسرائيلية والرواية الفلسطينية. بالطبع لم يقبل هؤلاء «المؤرخون الجدد» الرواية الفلسطينية لكنهم دحضوا قسماً كبيراً من الرواية التقليدية الإسرائيلية

موريس مؤرخ دقيق من ناحية المعلومات ويقوم بعمل جدي في جمع المعلومات من مصادر مختلفة وعيبه أنه غير ملم باللغة العربية، وبما أنه لا توجد أرشيفات فلسطينية وعربية ولا يقرأ الكتب العربية ولا يؤمن بالتاريخ الشفوي من ناحية فعلية، فإن المصادر الفلسطينية أو وجهة النظر الفلسطينية غائبة إلى حد كبير في كتاباته، فكتابته تعتمد بالأساس مصادر إسرائيلية وعالمية، ولكن وجهة النظر الفلسطينية مغيبة في كتاباته التاريخية، ولكن الضعف الأكبر في هذه المدرسة التي يمثلها في السنوات الأخيرة وبشكل متطرف (المدرسة الوضعية اليقينية) هو ثقتها بالنفس أكثر من اللازم، وبالتالي فهي لا تقبل الجدل.

مما يتيح بداية تفاهم أو تقارب مع الرواية الفلسطينية.

الآن بعد هذه المقدمة أو الصورة العامة للمؤرخين الجدد، سنحاول أن نفكك هذه الحزمة وأن نتحدث عن عدد من المؤرخين الجدد.

إن بيني موريس وإيلان بابه هما بدون شك من البارزين. أمّا آفي شلايم فأنا أقدره، وهو إلى حد كبير ليس إسرائيليا، كان إسرائيلياً سابقا وهو يعيش الآن في أوكسفورد بعدما ترك إسرائيل منذ فترة بعيدة. أود أن أركز أكثر على موريس وبابه وهما اليوم على طرفي نقيض، إذ توجد خلافات حادة بينهما أكثر مما هو مشترك، فقد بدءا معاً ثم افترقا وسار كل منهما في اتجاه آخر. بيني موريس من ناحية منهجية هو مؤرخ وضعي أو يقيني من المدرسة التاريخية التي تعتقد أن المعلومات هي التي تبني التاريخ، بمعنى أن تعثر على المعلومات في الأرشيفات ثم تحللها وتضعها في إطار معين، وهي تحكي القصة النظرية أو التوجه، فحتى تكون مؤرخا جيدا يجب أن تأخذ المعلومات بدقة وأن تجمعها وتضعها في سياقها، تحللها وتضعها في إطار معين. في المقابل فإن إيلان بابه في مرحلته الأولى كان يقول: التاريخ مثل أشياء أخرى، هو شيء نسبي، كذلك كان يدافع عن الرواية الفلسطينية ويقول إنها رواية شرعية مثل الرواية الإسرائيلية. وقد كنت أختلف معه وأقول له: أنت تخفف من وزن الحقيقة عندما تضع الرواية الفلسطينية في نفس مستوى الرواية الإسرائيلية. وأنا كمؤرخ مهني لا أتفق مع هذا التوجه بأن التاريخ نسبي، ولا نأخذه بشكل مطلق، عندئذٍ تغدو الحقائق غير مهمة أو شيئًا ثانويا، إيلان بابه مثلا يتقبل الرواية الفلسطينية ويدافع عنها في إصداراته الأخيرة، وخاصة كتابه (التطهير العرقي في فلسطين). توجه بابه في هذا الكتاب يمثل أقصى اليسار في إسرائيل، والذي يقول إن إسرائيل لم تقم فقط بعملية تطهير عرقي وإنما تطهير منهجي حسب خطة معدة مسبقاً. وفي حين قطع بابه شوطاً بعيداً في هذا الاتجاه وجدنا موريس يرتد ويتوجه بعد كتبه الأولى نحو اليمين والصهيونية، فبعد أن حصل على وظيفة في جامعة بئر السبع بسبب كتابته النقدية ولأسباب أخرى بعد أحداث ٢٠٠٠، غير موقفه الأخلاقي والسياسي والنقدي وواصل عمله كمؤرخ. وهنا أبدأ في قراءتي النقدية لبيني موريس مقابل إيلان بابه.

موريس مؤرخ دقيق من ناحية المعلومات ويقوم بعمل جدي في جمع المعلومات من مصادر مختلفة وعيبه أنه غير ملم باللغة العربية، وبما أنه لا توجد أرشيفات فلسطينية وعربية ولا يقرأ الكتب العربية ولا يؤمن بالتاريخ الشفوي من ناحية فعلية، فإن المصادر الفلسطينية أو وجهة النظر الفلسطينية غائبة إلى حد كبير في كتاباته، فكتابته تعتمد بالأساس مصادر إسرائيلية وعالمية، ولكن وجهة النظر الفلسطينية مغيبة في كتاباته التاريخية، ولكن الضعف الأكبر في هذه المدرسة التي يمثلها في السنوات الأخيرة وبشكل متطرف (المدرسة الوضعية اليقينية) هو ثقتها بالنفس أكثر من اللازم، وبالتالي فهي لا تقبل الجدل. وبدون شك أن موريس يمثل موقفا من هذا النوع وهذا الموقف يشهد تراجعاً وعودة إلى الموقف الإسرائيلي الذي يتهم الفلسطينيين

لاجئون فلسطينيون يعرضون كواشينهم

والعرب بالمسؤولية (عن نكبة ٤٨)، فكتابات موريس الأخيرة تخلو من النقد تقريبا للطرف الإسرائيلي، وهو يحاول إيجاد مصادر تدعم هذا الموقف الجديد بعد سنة ٢٠٠٠.

لدى إيلان بابه موقف أخلاقي وسياسي جيد، غير أنه نسبيا ضعيف مهنيا لأنه يعمل بشكل محدود (إصداراته قليلة) وكتابه «التطهير العرقي في فلسطين» هو نموذج «للعمل الخفيف» الذي لا يدقق بالمعلومات والمصادر. الشيء المهم لديه هو الاستنتاج والموقف، وموقفه واستنتاجاته جيدة جداً، يمكن أن نتفق مع قسم كبير منها وليس كلها، وسياسيا موقفه جيد أيضاً، لكن المشكلة هي وقوعه في أخطاء كثيرة (عدم دقة) في كتاب « التطهير العرقي. . »، مثلا حديثه عن مجازر في أماكن لم تقع فيها مجازر، والعكس صحيح أيضاً، كذلك قوله إن التطبيق للتطهير العرقي بدأ بعد «الخطة دالت» واستمر حتى شهر تشرين الأول العام ١٩٤٨ بينما التطهير العرقي استمر حسب رأيي حتى العام ١٩٥٦ الذي شهد وقوع مجزرة كفر قاسم، فهناك من يعتقد أن أحد أهداف المجزرة هو دفع أهالي (سكان) منطقة المثلث إلى الهرب وليس فقط أهل كفر قاسم، كما حدث في العام ٤٨، وأيضا قريتان عربيتان في منطقة الحولة في شمال فلسطين «قراد البقارة» و«قراد الغنامة» اللتان كان يعيش فيهما حوالي ٢٠٠٠ شخص حتى ذلك الوقت. وإسحق رابين، الذي كان قائد المنطقة الشمالية، قام بتهجيرهم من تلك المنطقة، وقد كانت تلك آخر عملية تهجير لعدد كبير من السكان العرب، قبلها كان هناك تهجير مستمر في العام ٥٣ في الجنوب والشمال. وكما هو معروف فإن التاريخ هو معلومات وتفسير للمعلومات وتحليلها، أنا قد أختلف معك في تفسير المعلومات ولكن الحقائق من المفروض أن ندقق فيها لأنها شرط أساسي لعمل المؤرخ المهني، وكون بيني موريس يدقق في المعلومات هذا لا يجعله مؤرخاً جيداً بالضرورة. قد نختلف في الاستخلاص والتحليل، لكن لا يجوز أن نهمل المعلومات الأساسية المثبتة في الوثائق والتوثيق.

خلاصة

هل المؤرخون الجدد هم «موضة» أم ظاهرة أم مدرسة؟ في اعتقادي أنهم يمثلون ظاهرة حصلت في مرحلة تاريخية، ولكن «الحزمة» تفككت، واليوم فإن الخلاف بين إيلان بابه وبيني موريس هو ليس فقط من ناحية الاستنتاجات أو حتى المنهج.

إن الشيء الأهم من هذا، حسب رأيي، هو أنه حان الوقت كي نكتب نحن تاريخنا، بشكل نقدي وفي الوقت ذاته بشكل جريء، أي أن نكون نقديين لأنفسنا ولمنظماتنا وقياداتنا وأن نكتب تاريخاً دقيقاً ومهنياً وأن لا نترك هذه المهمة للطرف الآخر، ونقول هذا مؤرخ إسرائيلي يكتب تاريخنا بشكل جيد. أنا لا أقول إن مؤرخين أو باحثين إسرائيليين لا يستطيعون أن يكتبوا عنا أو عن تاريخنا بشكل جيد، لكنني أعتقد أنه لا يمكن لأحد الكتابة عنا بشكل أفضل مما يمكن أن نكتب نحن من خلال مصادرنا وحياتنا، ومن خلال رواياتنا الشفوية التي لا تتوفر لبيني موريس أو إيلان بابه.

إن الشيء الأهم من هذا، حسب رأيي، هو أنه حان الوقت كي نكتب نحن تاريخنا، بشكل نقدي وفي الوقت ذاته بشكل جريء، أي أن نكون نقديين لأنفسنا ولمنظماتنا وقياداتنا وأن نكتب تاريخاً دقيقاً ومهنياً وأن لا نترك هذه المهمة للطرف الآخر، ونقول هذا مؤرخ إسرائيلي يكتب تاريخنا بشكل جيد. أنا لا أقول إن مؤرخين أو باحثين إسرائيليين لا يستطيعون أن يكتبوا عنا أو عن تاريخنا بشكل جيد، لكنني أعتقد أنه لا يمكن لأحد الكتابة عنا بشكل أفضل مما يمكن أن نكتب نحن من خلال مصادرنا وحياتنا، ومن خلال رواياتنا الشفوية التي لا تتوفر لبيني موريس أو إيلان بابه. إن وظيفتنا نحن ليس فقط انتقاد ما يكتبه الآخر، بل أن نكتب نحن البديل الأفضل لما يكتبه الآخرون ومن ضمنهم «المؤرخون الجدد».

د. صالح عبد الجواد : التاريخ الفلسطيني وتحديات السرد

أود في البداية أن أتحدث عن ثلاث نقاط تتعلق برواية المؤرخين الجدد. النقطة الأولى، ورغم أنني كنت أحاول تتبع وتحليل أعمال المؤرخين الجدد، إلا أنني لم أكتشفها سوى في العام ٢٠٠٤، عندما كنت في الأمم المتحدة، حيث زرت أرشيف الأمم المتحدة في نيويورك لمدة أسبوعين، وقد اكتشفت هناك للمرة الأولى، أن من صاغ رواية المؤرخين ومن صاغ الرواية الرسمية الإسرائيلية (حول ١٩٤٨) هم الساسة الإسرائيليون وبالتحديد، وهذا شيء مهم، موشيه شاريت، الذي كان في الوكالة اليهودية وكان قبل ذلك مسؤول القسم العربي في «الاستخبارات» ثم أصبح وزيراً لخارجية إسرائيل. لقد كان ذلك بالنسبة لي اكتشافا رهيبا، كل ما جاء في الرواية الرسمية الإسرائيلية سنجده في رواية المؤرخين.

الشيء الآخر متعلق بما قالته د. هنيدة وكأن هناك خمس مدارس فيما يتعلق بالنكبة. الحقيقة أنا أوافق د. عادل هنا، كيمرلينغ لا يشكل على الإطلاق أي اتجاه، وهو يعتمد تماما على رواية بيني موريس ويستند إلى ثلاث روايات: الرواية الرسمية التي تقول لم يكن هناك طرد أو قتل ومذابح وهناك اعتراف بـ«دير ياسين» ولكن كاستثناء. وهناك راوية ثانية تقول: حصلت معاناة، و«نكبة» و«هم يتحملون مسؤوليتها» أو في أحسن الأحوال «نحن ليس في وارد أن نصلح الأخطاء». والرواية الثالثة التي يعبر عنها موريس.

النقطة الثالثة هي أنني أتفق مع عادل مناع بشكل كبير جداً في تحليله حول موضوع إيلان بابه. فبابه يقدم رواية بسيطة متماسكة ولكن تشوبها الكثير من الأخطاء، وكما قال عادل هناك مشكلة عندما يصبح شخص وكأنه ممثل للرواية الفلسطينية وهذه الرواية تحفل بالأخطاء.

إن الصراع غير المحسوم بيننا وبين الآخر، «العدو»، جعل من تاريخ النكبة ساحة نزال بين روايتين تاريخيتين متعارضتين، وكتابة تاريخ الصراع هو في حد ذاته عمل سياسي لا يمثل الماضي فحسب وإنما يشكله أيضا ويؤثر على الحاضر والمستقبل. وبدون أدنى شك فإن التناقض أو البون الشاسع بين الروايتين كان أحد أسباب

حيفا: الاقتلاع بحرا

فشل العملية السياسية في اجتماعات كامب ديفيد العام ٢٠٠٠ .

إن الصراع بين رواية ما والرواية المضادة هو ظاهرة كونية، وكما أشار إدوارد سعيد فإن تطور الثقافة والحفاظ عليها يتطلب وجود ثقافة أخرى، ووجود آخر مختلف ومنافس. إن التاريخ هو أحد مكونات الهوية الرئيسية وتشكيل الهوية الذي ينطوي على تشكيل الضد وآخر تخضع حقيقتهم دائما لتفسير اختلافهم عنا، لكن في الحالة الفلسطينية – الإسرائيلية بالذات، فإن كتابة التاريخ هي مثار جدل وتحد بشكل استثنائي كونه يشكل الأسس الداعمة لشرعية كلا الطرفين.

سؤالنا اليوم هو: هل كان الفلسطينيون على مستوى التحدي؟ سأحاول الإجابة عن السؤال الذي طرح علي. لقد صاغ الفلسطينيون قصتهم بشكل مستقل ومضاد للأسطورة الصهيونية، وأحيانا كرد فعل عليها، وهذه القصة تتراوح بين الحقيقة والأسطورة، الفلسطينيون لديهم أيضا أساطير مؤسسة، الفلسطينيون شعب متجذر في فلسطين منذ القدم، قبل ظهور اليهود بزمن طويل، الوجود اليهودي كان هامشياً في أحسن حالاته، وغائبا معظم الوقت. مركزية القدس

ثمة شيء رئيسي في الرواية الصهيونية هو فكرة الهرب الفلسطيني، وتعني أن الفلسطينيين لم يقاتلوا، والأهم من ذلك أن الفلسطيني غير متعلق بأرضه وهذه فكرة رئيسية. لنأخذ فكرة أخرى من الرواية الصهيونية وهي أن العداء كان مستفحلا بين العرب واليهود، ونحن نتقبل عادة هذه الفكرة وبأن العداء بيننا وبين اليهود كان مستحكماً. لكن هذا غير صحيح إذ أنه كانت هناك علاقات بين العرب واليهود، كنا نذهب عند أطبائهم وهم يأتون عندنا في نوع من العلاقات رغم كل شيء، ولم يكن خيار المواجهة الدموي هو الخيار الوحيد، وهذه نقطة مهمة من الضروري فهمها.

ودورها في تطور الهوية الفلسطينية المعاصرة، موقع القدس عند العرب المسلمين وفلسطين هي جزء من عالم عربي وإسلامي- كل ذلك كان له مساهمات عديدة في التطور الحضاري على الصعيد الإنساني وليس فقط على الصعيد المحلي أو الإقليمي فحسب، ولكن عندما جاء «موضوع ٤٨»، موضوع النكبة، كانت الصورة مختلفة، بمعنى أنه ينقصها الإجماع إلى حد كبير، رغم الاتفاق على بعض النقاط ومن بينها على كوننا الضحية وكون الصهاينة الجلادين، وعلى قصة أن الصهيونية تحمل في طياتها من البداية مشروع التطهير العرقي والتدمير للمجتمع الفلسطيني. لكن نلاحظ أنه لا توجد رواية واحدة، بمعنى نحو المشكلة في مواجهة الآخر. توجد رواية إسرائيلية صهيونية، ولكن اليوم لا توجد رواية عربية. هناك روايات عربية، ولكن هذا التشرذم لا يقتصر فقط على موضوع الدولة الوطنية أو الدولة القطرية وإنما لدينا رواية مصرية تختلف تماما عن الرواية الأردنية وعن الرواية الفلسطينية وهذه تختلف عن الرواية السورية مما يخلق عدة روايات. ولكن المشكلة الأخرى هي على صعيد الرواية الواحدة، على صعيد البلد الواحد، هناك أكثر من رواية، فمثلا في الأردن هناك روايتان. والحالة في فلسطين أكثر تعقيداً، إذ نجد أنه توجد لدينا ثلاث روايات، رواية رسمية يمثلها الحاج أمين الحسيني، ورواية الطبقة الوسطى التي يمثلها عارف العارف ووليد الخالدي، كما توجد عندنا الرواية الشعبية التي نجدها في المقابلات الشفوية، في الروايات الشفوية، والتي تنشر الآن بشكل كبير محليا، إذ أن هناك حوالي ١٦٠ عملا تغطي قرى فلسطينية مدمرة، وداخل كل من هذه الكتب توجد هناك روايتان، لكن حتى على صعيد الرواية الشعبية، أنا على الأقل توجد لدي ٥٠٠ رواية شفوية خاصة بالنكبة.

وحتى عندما يتعلق الأمر بالرحيل أو النزوح هناك رأيان داخل الرواية الشعبية، رأي ناتج عن التجربة، مثلا تقابل شخصا من بلدة ريفية يقول إن اليهود أطلقوا النار من بعيد، فخفنا هربنا، ولكن حين تقابل شخصا من طيرة حيفا أو من لوبيا تجده يتحدث عن ملحمة بطولية وقصة صمود وتصد، وهذا يخلق لدينا أكثر من رواية. على صعيد كل قطر هناك أكثر من رواية، وداخل كل قطر يوجد أكثر من رواية، وحتى على صعيد التقسيم الطبقي والاجتماعي توجد هناك أكثر من رواية، وهذا يحيلنا إلى التساؤل: هل هناك فعلا رواية جماعية فلسطينية؟ وهذا موضوع في غاية الأهمية، وهو جزء من المشكلة السياسية التي نلاحظها. حسب اعتقادي لا توجد رواية كهذه. أعتقد أنه توجد بعض الأشياء ويوجد اتفاق عليها، ولكن هناك أشياء حساسة جداً فيما يتعلق بالنكبة، يوجد حولها اختلاف وتناقض. هذه مشكلة كبيرة جداً. بشكل عام نلاحظ أن الفلسطينيين أخذوا في الفترة الأخيرة يطورون أعمالاً ممتازة، تتفوق في جودتها على الكثير من أعمال المؤرخين الإسرائيليين. لكني سأركز على نقد الروايات العربية والفلسطينية. بشكل عام كثير من الأعمال ليست دقيقة وتفتقر إلى مواصفات البحث العلمي، فأنت عندما تقرأ حتى لأسوأ مؤرخ إسرائيلي، ورغم أنه أكاديمي، تجده يستخدم

نحن نفشل في أن نكون نداً للرواية الصهيونية، رغم أن هذه الرواية الصهيونية تعرضت لشرخ واهتزاز، والحقيقة حدث ذلك بفضل أعمال «المؤرخين الجدد» الذين حاولوا، وخاصة بيني موريس، إنتاج أسطورة بدل أسطورة أخرى. ولا شك في أن أعمال هؤلاء المؤرخين الجدد خلقت شرخاً في الرواية الصهيونية وفي «الإجماع الوطني» الإسرائيلي، ولذلك فإن بعض المؤرخين والباحثين، من بينهم إدوارد سعيد، نظروا لظاهرة المؤرخين الجدد بشكل إيجابي

footnotes ويستخدم أرشيفا ويعطي انطباعا بأنه يوجد عمل علمي، ولكن إذا أخذت حتى كتاب عارف العارف الذي اعتبره من أهم الأعمال، تجد أن ٩٩٪ من العمل لا يرجع إلى مصدر معلومات. لكن الأخطر من ذلك أنه دخل إلى الرواية الفلسطينية والعربية النموذج الصهيوني، صحيح أننا رفضنا قرار التقسيم وأننا بدأنا الحرب، ولكن رفضنا لقرار التقسيم لم يكن قراراً بالحرب، تماماً مثلما أن عدم موافقة الرئيس الراحل ياسر عرفات في كامب ديفيد ٢٠٠٠، لم تكن قرارا بإعلان الحرب.

نحن هنا نحاول عمل مقاربة تجمع بين المقاربتين: قصة الضحية السلبية، فنحن مقتنعون بأننا ضحية سلبية، وقصة البطولة.

عند وقوع النكبة كان الشعب الفلسطيني أعزل وبدون قيادة وغير مسلح. في هذه الحرب قتل ٦٠٠٠ إسرائيلي منهم ٣٠٠٠ على يد الفلسطينيين، بالمقارنة في حرب ١٩٥٦ قتل ١٦٠ جنديا إسرائيليا، وفي حرب ١٩٦٧ قتل حوالي ٧٠٠ إسرائيلي وفي العدوان على لبنان العام ١٩٨٢ (من ٤ حزيران إلى أواخر شهر آب) قتل عدد محدود جداً من الجنود الإسرائيليين. لنأخذ قصة دير ياسين، فهي ليست قصة مجزرة فقط، وإنما هي أيضا قصة بطولة. العملية العسكرية بدأت في ساعات الصباح عند صلاة الفجر، ولكن متى انتهت؟ في الساعة الواحدة، وآخر بيت في القرية (كان بيت المختار) لم يتمكنوا من احتلاله إلا بعد أن أرسلوا تعزيزات من خيرة المقاتلين في الهاغناه مع مدافع هاون. إذن نحن لسنا «ضحية سلبية» وليس من الناس الذين هربوا. ثمة شيء رئيسي في الرواية الصهيونية هو فكرة الهرب الفلسطيني، وتعني أن الفلسطينيين لم يقاتلوا، والأهم من ذلك أن الفلسطيني غير متعلق بأرضه وهذه فكرة رئيسية. لنأخذ فكرة أخرى من الرواية الصهيونية وهي أن العداء كان مستفحلا بين العرب واليهود، ونحن نتقبل عادة هذه الفكرة وبأن العداء بيننا وبين اليهود كان مستحكماً. لكن هذا غير صحيح إذ أنه كانت هناك علاقات بين العرب واليهود، كنا نذهب عند أطبائهم وهم يأتون عندنا في نوع من العلاقات رغم كل شيء، ولم يكن خيار المواجهة الدموي هو الخيار الوحيد، وهذه نقطة مهمة من الضروري فهمها.

في السنوات الأخيرة نشرت أعمال رائعة جداً لفلسطينيين. على صعيد الكتب فإن كتاب «كي لا ننسى» لوليد الخالدي يشمل أخطاء، لكنه كتاب موسوعي رائع، وهناك كتاب للباحث عيسى خلف حول التشرذم الفلسطيني في ظل الانتداب البريطاني[1].

لدينا ميل كبير لأن نتحدث عن الأساطير الصهيونية. بدون شك هناك أساطير، ولكن لدينا نحن توجه نحو تجاهل الأساطير العربية، مثلا لدينا أسطورة الهدنة «ولو أن العرب ما قبلوا الهدنة لكان الجيش المصري والجيش العراقي دخلا تل أبيب». هذه الصورة ليست صحيحة. بدون شك واجهت القوات الصهيونية صعوبات عندما

1 Issa Khalaf,1991 Politics in Palestine: Arab Factionalism and Social Disintegration, 1939-1948, State University of New York Press.

دخلت الجيوش العربية الحرب، ولكن لا شيء هنا يشير إلى أنه حتى لو لم توقع اتفاقية «الهدنة» كانت الأمور ستتغير، وأساسا حين ننظر إلى توزيع الجيوش العربية نجد أن الجيش المصري إطلاقا لم يتخط مترا واحدا بعد أسدود، لماذا؟ لأنه كان هناك تقبل لقرار التقسيم. فالجيش الأردني لم يدخل قط إلى أية منطقة مخصصة للدولة اليهودية، كذلك الجيش العراقي، ولذلك القصة ليست قصة الهدنة. ونحن بحاجة إلى إعادة دراسة الرواية الفلسطينية والعربية وتنقيتها أيضا من أساطيرها دون التحدث فقط عن وجود أساطير صهيونية.

نحن نفشل في أن نكون نداً للرواية الصهيونية، رغم أن هذه الرواية الصهيونية تعرضت لشرخ واهتزاز، والحقيقة حدث ذلك بفضل أعمال «المؤرخين الجدد» الذين حاولوا، وخاصة بيني موريس، إنتاج أسطورة بدل أسطورة أخرى. ولا شك في أن أعمال هؤلاء المؤرخين الجدد خلقت شرخاً في الرواية الصهيونية وفي «الإجماع الوطني» الإسرائيلي، ولذلك فإن بعض المؤرخين والباحثين، من بينهم إدوارد سعيد، نظروا الظاهرة المؤرخين الجدد بشكل إيجابي، في المقابل كانت هناك مواقف رأت في ظاهرة المؤرخين الجدد «استكمالا للمشروع الصهيوني». فمثلا د. شريف كناعنة يرى أنها أخطر من الرواية الصهيونية. وأنا أيضا أؤكد اليوم على أن دور المؤرخ الفلسطيني هو التصدي بالذات للمؤرخين الجدد، لأن الرواية القديمة ضعيفة هشة، ولكن الخطورة تأتي من مؤرخ مثل بيني موريس. في الوقت نفسه فإن كتاب موريس عن «ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين» يتضمن معلومات عن الفظائع الإسرائيلية تفوق حتى كتاب إيلان بابه عن «التطهير العرقي في فلسطين».

في العام ٢٠٠٦ ألقيت محاضرة بعنوان «اتجاهات جديدة في الرواية الصهيونية» قلت فيها إن الرواية الرسمية الإسرائيلية (الصهيونية) اليوم لم تعد تخشى الاعتراف بالتطهير العرقي. ففي كتاب دومينيك فيدال[٢] عن «خطيئة إسرائيل الأصلية» النسخة الجديدة التي صدرت العام ٢٠٠٧ كتب مقدمتها سفير إسرائيل السابق في فرنسا، وهو يقول ويعلن صراحة بأنه حصل تطهير عرقي، لكن علينا أن نتصالح.

وللتلخيص أقول، هناك اليوم اتجاه جديد وأعمال جديدة فيها إعادة شيء من التوازن في مواجهة الوضع القديم الذي تميز بهيمنة الرواية الصهيونية، ليس لأنهم المنتصرون، فأنا لا أوافق إطلاقا على المقولة التي تقول «التاريخ يكتبه المنتصر»، فهناك حالات كتب فيها المهزوم التاريخ، ورواية المهزوم هي التي سادت لأن المهزوم استطاع أن يكتب رواية أكثر دقة وقبولاً. ولدينا اليوم مؤرخون مثل نافذ نزال، وليد الخالدي، شريف كناعنة، عادل مناع، أحمد سعدي وآخرين. لدينا عمل جيد ويجب أن نكمل. هناك إسرائيليون يقولون لنا تعالوا نجسر الروايتين، اقتربوا من روايتنا ونحن نقترب من روايتكم كي نحقق المصالحة، وأنا أقول لهؤلاء إن المصالحة ممكنة في العملية السياسية ولكن الرواية التاريخية لا تحتمل المساومة، التاريخ يجب أن يكون مبنيا على الحقيقة، هناك ضحية وهناك جلاد، والضحية فلسطيني والجلاد إسرائيلي.

٢ دومينيك فيدال باحث فرنسي معروف، ومن أبرز صحافيي جريدة لوموند ديبلوماتيك.